تحولات البحث اللساني من البنية التركيبية إلى الدلالة العرفانية (cognitive)

Transformations of linguistic research: from syntactic structure to cognitive semantics

نصيرة قياسة [1]*

د. يوسف منصر [2]

[1] جامعة باجي مختار – عنابة (الجزائر)، naciradoctora10@gmail.com

[2] جامعة باجي مختار – عنابة (الجزائر)، youcefmajed@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2021/06/01 تاريخ القبول: 2021/06/09 تاريخ النشر: 2021/12/23

ملخص:

مثل الطرح التوليدي التحويلي نقطة تحول في البحث اللساني، حول مساره من البنية إلى الذهن، وقد أولى عناية كبيرة للمكون التركيبي على حساب المكون الدلالي الذي اتخذه تلاميذه المعارضون مدخلا لنقد هذا الطرح، وتأسيس تصور جديد (عرفاني) يقوم على مركزية المكون الدلالي. لذلك فإنّ هذا المقال يسعى إلى عرض هذا التحول، وتقريب هذه المعرفة اللّسانيّة الغربيّة من ذهن القارئ العربي.

كلمات مفتاحية: اللسانيات التوليدية التحويلية، اللسانيات العرفانية، البنية التصورية، الدلالة التصورية، مقاربة.

Abstract:

The transformative generative thought represented a turnover in linguistic research, from structure to mind, and it takes consideration to the syntactic component at the expense of the semantic component that was taken by its opposing students as an input to critique this proposition, and to establish a new conception (cognitive) based on the semantic component. Therefore, this article aims to present this transformation and approximate this Western linguistic knowledge closer to the Arab reader mind

Keywords: Transformational generative linguistics- cognitive linguistics- conceptual structure- conceptual semantics- approach.

* المؤلف المرسل: نصيرة قياسة

مقدمة:

مثل الطرح التوليدي التحويلي نقطة تحول في البحث اللساني، حول مساره من البنية إلى الذهن، وقد أولى عناية كبيرة للمكون التركيبي على حساب المكون الدلالي الذي اتخذه تلاميذه المعارضون مدخلا لنقد هذا الطرح، وتأسيس تصور جديد (عرفاني) يقوم على مركزية المكون الدلالي.

فاتّجه البحث بذلك نحو ما قبل التّحقّق اللّغويّ، حيث يرى العرفانيّون أنّ البنية اللّغويّة انعكاس مباشر للإدراك، الّذي يحكم الواقع، وتحكمه الأبنية الذّهنيّة، وأنّ انتظام الموجودات، أو الأشياء في ذهن الإنسان محكوم بمدى إدراكه لها، وتبصّره لأبعادها، بحيث تشكّل الدّلالة ناتجا للعلاقة القائمة بين الموجودات، ومستوى الإدراك في الذّهن، معنى ذلك أنّ أيّة عبارة موجودة في الواقع، ينبغي أن تستدعي للتّعبير عنها تصوّرا آخر، يكون بالضّرورة نتاج خبرات سابقة، تشترك فيها اعتبارات نفسيّة، وذهنيّة، وتاريخيّة، واجتماعيّة، ...، حتّى تتوسّع، وتتعدّد المداخل في محاولة القبض على المعنى، والكشف عنه انطلاقا من المقاربة العرفانيّة.

الإشكالية:

جاء هذا المقال ليقدّم صورة مبسّطة عمّا وصل إليه البحث اللّسانيّ في آخر تطوّراته؛ بالتّطرّق إلى بعض الأسس العرفانيّة، الّتي تتعلّق بالبحث اللّسانيّ العرفانيّ عامّة، والدّلاليّ منه خاصّة، من خلال الجهود المتتابعة الّتي اهتمّت بالمعنى في الطّرح اللّسانيّ العرفانيّ، الّذي شهد عدّة تحوّلات في اللّسانيّات، وذلك من خلال تتبّع التّطوّرات، الّتي طرأت عليه إلى أن نحت الدّراسات الدّلاليّة نحوا عرفانيّا في أوجّ صورة لها، حيث وقفتْ على بعض المفاهيم، والمصطلحات الأساسة في الدّراسة الدّلاليّة العرفانيّة، وذلك بالبحث في العلاقة الّتي تربط الحدث اللّغويّ بالأنساق الدّلاليّة، والتّصوّرات الذّهنيّة، من خلال البحث في آليّات اشتغال الذّهن، وعلاقتها بالظّاهرة اللّغوية.

1- التّوجّه اللّسانيّ التّوليديّ العرفانيّ:

دخل المعنى حيّز الاهتمام بعد أن تغيّر مسار الدّراسات الدّلاليّة، ما بين (1963، 1965)، حيث اصطدم باحثو النّهج التّوليديّ بحقيقة اعتماد التّركيب وحده في تفسير قضايا اللّغة، بعدما أُقصي المعنى من الدّراسة باعتباره مكوّنا فلسفيّا، فقد اهتمّ "نوام تشومسكي" مع آخر تطوّر لأبحاثه بالتّوجّه الذّهنيّ في دراسة اللّغة، ممّا دفعه للبحث عن المعنى في العمليّات الذّهنيّة الّتي تحدث قبل الاستعمال، أو ما نعبّر عنه بما قبل التّحقّق اللّغويّ، غير أنّه قصر اهتمامه بالعمليّات الذّهنيّة، باعتبارها آليّات لغويّة محضة،

لا علاقة لها بما يحيط بها من عمليّات ذهنيّة لا تتعلّق بإنتاج اللّغة، إذ هي في نظره «منفصلة عن بقية الآليّات العقليّة الّتي تخصّ الإدراك، والتّصوّر، والخيال، وجلّ العمليّات الّتي هي في صميم أبحاث علم النّفس المعرفيّ» (عابي، 2018، ص 124.)، ممّا عرّضه للنّقد من قبل تلاميذه الّذين يستمدّون خلفيّاتهم المعرفيّة من علم النّفس المعرفيّ، ويؤمنون «بأنّ المعرفة اللّغويّة تندمج ضمن بقيّة الآليّات العقليّة، ويحكمها ما يسمّى بالبنية التّصوّريّة الّتي تضمّ المعلومات اللّغويّة، وغير اللّغويّة» (عابي، 2018، ص 125.)؛ معنى ذلك أنّها جزء من الإدراك الذّهنيّ الّذي لا يميّز بين ماهو لغويّ، وما هو غير لغويّ.

ومنه، فإنّ اهتمام "تشومسكي" بقي منصبّا على التّركيب، حيث مثّلت «الاعتبارات التّركيبيّة أساس صياغة المسائل المركزيّة، والاكتساب الفطريّ، والاستدلال عليها» (عابي، 2018، ص 126.)، فتساءل كلّ من الباحثين "كاتز" (Katz) و"فودور" (Fodor) «عن موقع المعنى في نظريّة "تشومسكي"، وفحوى نظريّتهما أنّ ثمّة معان يعبّر عنها بمستوى صوريّ من الوصف اللّسانيّ مختلف عن البنية النّظميّة يسمّى التّمثيل الدّلاليّ، وهذا المستوى من البنية اللّغويّة مقترن بالبنية النّظميّة؛ بواسطة قواعد الإسقاط، ممّا يعني لزوم العودة – عند إنشاء الجمل – إلى معانيها الأصليّة الّتي صيغت من أجلها» (شمّام، 2014، ص102 – 103.)، وفي سنة (1963)، أكّدا على «ضرورة تلقيح المكوّن التّركيبيّ القاعديّ بإضافة مكوّن دلاليّ» (بن غربية، 2010، ص 26.)، ثمّ حاول "كاتز" بمعية "بوستال" (**Postal**) «سنة 1964 تطوير مفهوم المكوّن الدّلاليّ، وتوسيعه، وذلك حتّى يقتنع "تشومسكي"، ويتبنّى وجهة النّظر الجديدة في كتابه "مظاهر النّظريّة التّركيبيّة"، الّذي يمثّل صياغة جديدة للنّظريّة التّوليديّة التّحويليّة» (بن غربية، 2010، ص 26.)، حيث أصبحت تتساءل عمّا يعرفه المتكلّم بلغة ما، واكتسابه لتلك المعرفة، وجريانها في الاستعمال، من خلال الاهتمام بتجلّيات الخصائص الذّهنيّة، ونشاطها في الدّماغ، وعلاقتها بالملكة اللّغويّة؛ فهي مسائل عرفانيّة بحتة، تجلّت في عمله أيضا المسمّى بـ" المعرفة اللّغويّة طبيعتها، وأصولها، واستعمالها" سنة (1986)، ثمّ من خلال برنامجه الأدنويّ، الّذي يعتبر آخر أطوار النّظريّة التّشومسكيّة، والّذي كان منصبّا فعليّا على مثل هذه المسائل العرفانيّة، حيث أنّ ما يعرفه الشّخص المتكلّم بلغة ما، هو خصائص بنويّة مولّدة لتلك اللّغة، لذلك اقترح "تشومسكي" تسميّة هذه البنية الذّهنيّة بـ"اللّغة المضمرة"، وتتعلّق بالفرد في محيطه اللّغويّ دون بقيّة الأفراد، ويفترض أنّه ليس واعيا بحصولها، كما أنّها ذات مفهوم نسبيّ، عرّفه "كينز" بأنّه: «كناية عن مجموعة الصّفات الّتي يملكها الفرد عن شيء، أو موجود ما، سواء كانت تلك الصّفات أساسيّة، أو ثانويّة» (الزّناد، 2009، ص 44.)، وإنّ اختلافه راجع للاختلاف القائم بين التّجارب الفرديّة، ويخضع لعاملي المكان، والزّمان.

لقد قامت النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة في مقاربتها اللّسانيّة للّغة على ثنائيتيْ (المبادئ، والبارامترات)، و(اللّغة المضمرة، واللّغة المظهرة)، وذلك مع آخر تطوّر لها، حيث اهتمّت بالثّابت من المبادئ، الّذي تتّفق فيه جميع اللّغات، من خلال اهتمامها بالنّحو الكونيّ، ومحاولتها تحديد المبادئ الّتي تشتغل بها الملكة اللّغويّة (اللّغة المضمرة) قبل تعرّضها للتّجربة، والمعطيّات الخارجيّة؛ أي أنّه «جهاز سابق عن كلّ تجربة لغويّة» (الزّناد، 2009، ص 47.)، كما اهتمّت بالبارامترات على أنّها قيم مخصوصة في لغة ما، وتختلف فيها اللّغات؛ لأنّها تخضع للتّجربة الاجتماعيّة، وتمثّل الجانب الظّاهر من اللّغة، أو "اللّغة المظهرة"، وهو نحو مخصوص، وقد عرّفه "الأزهر الزّناد" بقوله: «نظريّة في اللّغة مخصوصة تصف ما به يكون الاقتران بين تمثيل ذهنيّ، وعبارة لغويّة، ويكون به تحديد الشّكل، والمعنى» (الزّناد، 2009، ص 49.).

وقد حاول "تشومسكي" (chomsky) في توجّهه اللّسانيّ الذّهنيّ تحديد العوامل الّتي تقف وراء الإمكانات التّعبيريّة اللّامحدودة في اللّغة، حيث ينشأ الطّفل مجهّزا بنظامها، وانطلاقا من لغة محيطه، والعبارات الجارية فيه، يبني لغته المخصوصة بوجه يحدّده نظامه الدّاخليّ، فتحلّ اللّغة في الذّهن بعد عمليّة البناء، والنّضج، فيوظّفها في حياته بسهولة فهما، واستعمالا، وذلك يتمّ بعد تفاعل عرفانيّ بين جهازين، فطريّ، وعصبيّ ناضج، مع العبارات الجاريّة في محيط الفرد الاجتماعيّ، فيظهر معرفة لم يتعلّمها من قبل بناء على معطيّات سابقة مشكّلة نظاما بشريّا معقّدا؛ هو النّظام الذّهنيّ، وأمّا استعمال تلك المعرفة، وتوظيفها، فيمثّل حسب "تشومسكي" نظريّة في الإنجاز، بما في ذلك العمليّات التّحليليّة للاستعمال اللّغويّ؛ وذلك من خلال البحث في ما يحتويه الذّهن، من تقنيات ربط بين الصّوت، والمعنى، أو بين المدرك، والرّمز، وتعدّ هذه الجوانب جزءا من النّظم العرفانيّة في النّهج اللّسانيّ التّوليديّ التّحويليّ، الّذي لم يركّز على كون اللّغة ليست ظاهرة مجرّدة، أو مواضعة اجتماعيّة فحسب، وإنّما في كيف تُفهم، وتُستعمل، ومع ذلك بقي يعتبر الدّلالة مكوّنا تأويليّا ثانويّا في النّظام اللّسانيّ، وبعد أن تعرّض للنّقد من قبل علماء الدّلالة، حاول أن يربط «التّمثيل الدّلاليّ بالبنية العميقة، والبنية السّطحيّة على حدّ السّواء، وذلك من خلال قاعدة تفسيريّة دلاليّة أولى، للبنية العميقة، وقاعدة تفسيريّة دلاليّة ثانيّة، للبنية السّطحيّة» (بوقرة، 2003، ص 161.).

فكان انصرافه عن الاهتمام بالمعنى، سببا مباشرا في انصراف الباحثين عن النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة، « فـ"تشومسكي" على حدّ تعبير "جاكندوف" وعد النّاس بإمكان القبض على المعنى، ثمّ تراجع عن ذلك، وأخلف وعده، وكان من مخلّفات هذا الأمر أنّ عددا من الباحثين اللّسانيّين وغير اللّسانيّين،

عزموا أمرهم على الانصراف عن النّحو التّوليديّ بإحساس مشوب بالمرارة والإحباط، وهو ما دفعهم إلى الانفتاح أكثر على فضاءات معرفيّة واعدة، لها اهتمام أكثر بالمعنى، مثل العلوم المعرفيّة.» (مولود مرابط، 2020، ص165.)

ومن الباحثين الّذين مثّلوا الدّلالة التّأويليّة، الباحث"رايجاكندوف" (Ray Jackendoff)، الّذي ركّز على أهمّ المصطلحات الأساسة في البحث الدّلاليّ العرفانيّ، من قبيل: البنية الذّهنيّة، والبنية التّصوّريّة، والبنية الدّلاليّة، وعلاقة هذه البنيات بالمنحى اللّسانيّ العرفانيّ، محاولا بذلك إثبات مواقفه بفتح آفاق جديدة لنظريّته العرفانيّة الدّلاليّة، الّتي «تجعل من الدّلالة المضَمّن بعدما كانت مُضَمَّنة في اللّسانيّات ... أي إنّ كلّ مستويات التّحليل اللّغويّ من نظم، وفونولوجيا، ومعجم، وتصريف، وتداوليّة...إلخ، كلّها تخدم الدّلالة» (جاكندوف، 2010، ص18.)، إذ تؤمن نظريّة "جاكندوف" اللّسانيّة العرفانيّة بمركزيّة المستوى الدّلاليّ، حيث تجعل من الإعراب نابعا عن الدّلالة، والّتي وجدت لنفسها مكانا في هذه النّظريّة، بل واحتلّت الصّدارة فيها، حيث ميّز بين مصطلحي "البنية التّصوّريّة"، و"البنية الدّلاليّة"؛ فالأولى تحيل على العالم الخارجيّ للفرد، وتجربته الفرديّة، وكلّ ما له علاقة بمحيطه، بينما تحيل الثّانيّة على الاستعمال اللّغويّ، أو التّحقّق اللّغويّ؛ معنى ذلك أنّ البنية التّصوّريّة عنده تعبّر عمّا قبل التّحقّق اللّغويّ، ثمّ تجاوز ذلك أيضا إلى توظيفهما بالمفهوم ذاته، بل وعمّم الأبنيّة التّصوّريّة على المفهومين، وهو ما عبّر عنه مترجم كتابه "علم الدّلالة والعرفانيّة" بقوله: «ويتغلّب على حذره المنهجيّ في التّمييز بين البنية التّصوّريّة؛ إذا تعلّق الأمر بالمحيط، والبنية الدّلاليّة؛ عندما يتحدّث عن اللّغة؛ فيدعو إلى تجاوز هذا التّمييز، وتعميم الأبنيّة التّصوّريّة على السّياقين» (جاكندوف، 2010، ص 8.).

إنّ عدم التّمييز بين البنيتين بدقّة و«القول بأنّ البنية الدّلاليّة يمكنها أن تعادل البنية التّصوّريّة، لا يعني أنّ البنيتين متطابقتان، بل يفترض الدّلاليّون المعرفيّون أنّ المعانيّ المرتبطة بالكلمات مثلا لا تشكّل سوى مجموعة فرعيّة من التّصوّرات الممكنة؛ ذلك أنّنا نملك من الأفكار، والأحاسيس أكثر ممّا نرمّزه بالمواضعة في اللّغة» (العامري، 2018، ص33.) والأحاسيس أكثر بحيث يعتمد تولّد هذه الأبنيّة في نظره على عمل الذّهن، إذ البنية التّصوّريّة في نظره هي بنية تمثيليّة ذهنيّة، وليست بنية لغويّة، بل ووظّف مصطلحا جامعا بينهما، وهو مصطلح "الدّلالة التّصوّريّة"، ثمّ تبلور استخدامه في مؤلّفات لاحقة من قبيل مُؤَلّفَيْه، الأوّل سنة (1990)، موسوم بـ"الأبنيّة الدّلاليّة"، والثّاني سنة (2002) موسوم بـ"أسس اللّغة"، حيث قدّم تعريفا لها –الدّلالة التّصوّريّة– في قوله: «نظريّة دلاليّة تعتبر أنّ المعنى ممثّل عنه في الذّهن، وله تقاطعات مع علم العرفان العصبيّ، وعلم النّفس التّطوّريّ، إذ إنّ المصطلح راج فيما بعد» (جاكندوف،

2010، ص17.)، كما أورد تعريفا للمعنى في موضع آخر بأنّه: «بنية ذهنيّة في الدّماغ؛ أي إنّه تمثيل ذهنيّ يشفّر المعلومة المدخلة، لذلك يجعل "جاكندوف" التّمثيل الرّمزيّ مرادفا للتّمثيل الذّهنيّ عن طريق الإدراك الحسّيّ، باعتبارها مقُولة الإنسان للكون، فهي جملة من الجمل ليس مشروطا علاقتها بالواقع، الّذي يحدّد قيمة حقيقتها، ولا بالبنية النّظميّة المجرّدة، بل ببنية المفاهيم الّتي توظّف في ذهن المتكلّم، أو السّامع، وطبيعتها» (جاكندوف، 2010، ص16.)، وقد وضّح الباحث "عبد المجيد جحفة" هذه المسألة في قوله: «تعدّ نظريّة الدّلالة التّصوريّة من النّظريّات النّفسيّة الأساسيّة في البحث الدّلاليّ، سواء من حيث مقدّماتها العامّة، واختياراتها النّظريّة، أو من حيث الوسائل الّتي تتيحها للتّحليل الدّلاليّ في اللّغة الطّبيعيّة. وتفترض هذه النّظريّة أنّ للبنية الدّلالية في اللّغة الطّبيعيّة خصائص تماثل خصائص بنيات إدراكيّة ونفسيّة أخرى غير لغويّة. وعليهن فالبشر يملكون مستوى تمثيليّا ينظمون به العالم الخارجيّ، ويرتبط هذا المستوى الذّهنيّ بعمليّات الإدراك. ولا يخصّ هذا المستوى تنظيم المعنى وإقراره بنيويّا، بل يخصّ أيضا جميع المعلومات والمعارف الذّهنيّة، سواء أكانت لغويّة أم غير لغويّة.» (جاكندوف، 2010، ص18.)

كما أنّ "جاكندوف" تبنّى آخر ما اعتمده "تشومسكي" في تأسيسه لنظريّته الدّلاليّة العرفانيّة، في مؤلّفه "علم الدّلالة والعرفانيّة"، وهو "مبدأ الذّهنويّة"، معبّرا عن مسألة استغلاله لمبدأ النّحو الكونيّ، وذلك بربطه بالمستوى الدّلاليّ حسب تفكيره التّوليديّ، وهو يظهر في قوله: «إنّ الدّلالة تتكوّن في ذهن الإنسان داخل هياكله التّصوّريّة، وليست خارجة عنه ينمذجها الكون، ويفصّلها حسب تمشّ من الخارج نحو الدّاخل» (جحفة، 2000، ص 133.)، وهو ما عرف به "علم الدّلالة الماصدقيّ"، أو ما أطلق عليه اليوم ب"النّظريّة الدّلاليّة المحيطيّة"، وقد مثّل هذا الاتّجاه الباحث "بوتنام"، الّذي أصدر مقالا عنوانه "معنى المعنى"، سنة (1975)، وقد استغلّ هذا الجانب، من خلال تركيزه على «كونيّة الأبنيّة الذّهنيّة، متخطّيا حواجز اللّغات الخاصّة» (جاكندوف، 2010، ص26.)، كما يتجلّى ارتباطه بالنّحو التّوليديّ أيضا، من خلال إصراره على الشّكل المنطقيّ الصّوريّ؛ باقتراحه سبلا حتّى تتحسّن الكتابة الرّمزيّة، غير أنّه اقترح ذلك لخدمة الدّلالة لا الإعراب، متخلّيا بذلك عن كلّ ما يعتبر أساسا في النّظريّة التّشومسكيّة، من قبيل "علم الدّلالة الصّوريّ"، و"مركزيّة الإعراب"، دون أن يعلن القطيعة معها، وقد أرسى في سنة (1977) مبادئ أساسة لما وسم ب"علم الدّلالة التّصوّريّ"، حيث قام بإيضاح مراحل تكوين النّظريّة الدّلاليّة العرفانيّة، كما ميّز بين عدّة مصطلحات لسانيّة عرفانيّة من قبيل الأبنيّة التّصوّريّة، والاكتساب اللّغويّ، واستعمال اللّغة، وإنتاج المعنى.

إنّ "راي جاكندوف" يؤمن بالطّرح الذّهنيّ، الّذي يجعل «من الدّلالة عمليّة ذهنيّة، داخليّة، باطنيّة، تقوم على أنّ المعنى ليس في الكون، أو في الأشياء، أو في علاقة اللّغة بالواقع، بل في الأبنيّة الذّهنيّة» (جاكندوف، 2010، ص11.)، فبالنّظر إلى الدّلالة على أنّها آليّة ذهنيّة تعيد تشكيل الواقع في ذهن الفرد، وتحيله على تصوّرات ذهنيّة جديدة انطلاقا ممّا يملكه من تصوّرات قبليّة، يكون قد ربط دراسة "الدّلالة اللّغويّة الطّبيعيّة"، بعدّها مجالا عرفانيّا بحتا، ب"علم النّفس العرفانيّ"، بعدّه أساسا ترتكز عليه العلوم العرفانيّة في تفسيراتها للظّواهر الفرديّة، خاصّة ما تعلّق منها باللّغة، والتّمثيلات الذّهنيّة للأشياء، والعمليّات الذّهنيّة، فهي مجالات عرفانيّة محضة، يتّخذها علم النّفس العرفانيّ موضوعا له، حيث يرى "جاكندوف" «أن ندرس دلالة اللّغة الطّبيعيّة، يعني أن ندرس علم النّفس العرفانيّ» (جاكندوف، 2010، ص13)، ممّا يدفعنا للتّساؤل: ما الفرق بين "اللّسانيّات العرفانيّة" (جاكندوف، 2010، ص 24)، و"علم النّفس العرفانيّ" (الزّناد،2009، ص 27) ؟ هذا من ناحية، وأيّهما أعمّ من ناحية أخرى؟

نجد "جاكندوف" يجيب في قوله: «أصبحت منضويّة تحت راية علم النّفس العرفانيّ» (المليجي، 2004، ص56- 57)، ويقصد بذلك اللّسانيّات بعدما كانت علما قائما بذاته، يهدف إلى دراسة اللّغة لذاتها وفي ذاتها، واستفادت منه جلّ العلوم المتاخمة له، انضوت تحت سقف علم النّفس العرفانيّ؛ ذلك أنّها تتّخذ من أحد مجالاته موضوعا لها.

إنّ النّظريّة الدّلاليّة العرفانيّة عند "جاكندوف" لا تميّز بين ما هو لغويّ، وما هو غير لغويّ، حيث أنّ المتحكّم الوحيد في عمليّة الإدراك البصريّ، والسّمعيّ، كما في بناء النّظام اللّغويّ في الذّهن؛ هو الأبنيّة الذّهنيّة، حيث يقول في هذا الصّدد: «لابدّ من مسويات من التّمثيل الذّهنيّ، تكون فيها المعلومة الّتي تؤدّيها اللّغة منسجمة، والمعلومة الآنيّة من الأنظمة المحيطة مثل الرّؤية، والسّماع غير اللّغويّ، والشّم، والشّعور بالحركة، وهكذا» (راي جاكندوف: 2010، ص14)، فهذه المستويات ضروريّة؛ حتّى نستخدم اللّغة وسيلة للإخبار، والتّعبير عمّا نرى، ونسمع، وتبعا لذلك فقد اختزل نظريّة الاستعارة التّصوّريّة في مصطلحين رئيسين مصرّحا بأنّ «البنية الدّلاليّة هي البنية التّصوّريّة، ويهدف بذلك لدفع البحث اللّسانيّ العرفانيّ إلى التّقدّم نحو فهم المعنى، وتحليله، وإنّ من القضايا الأساسة الّتي اهتمّ بها» (راي جاكندوف، 2010، ص14) "البنية الدّلاليّة"، و"البنية التّصوّريّة"؛ فهو يسعى من خلال جهوده إلى إرساء نظريّة دلاليّة شاملة للقدرات الذّهنيّة، والتّجربة الخارجيّة، وذلك بتركيزه على مصطلحين هما "البنية"، و"الإجراء"؛ أي البنية اللّغويّة، والاستعمال اللّغويّ، إذ تمثّل البنية التّصوّريّة عنده «المعلومة الّتي تتقاسمها الصّيغ اللّغويّة، والبصريّة» (راي جاكندوف، 2010، ص15)، أمّا الدّلاليّة، فقد تبنّى ما ذهب إليه "كاتز"، و"فودور"،

على أنّها تمثيل دلاليّ، عبارة عن معان في مستواها الصّوريّ، حيث تختلف عن البنية النّظميّة، ويرى أنّه من شروط النّظريّة اللّسانيّة أن تكون قادرة على تغيير، وتأويل السّمات الدّلاليّة للّغة، حيث يتجلّى التّمثيل الذّهنيّ من خلال مستوى البنية التّصوّريّة، الّتي هي «نسق مركزيّ من أنساق الذّهن، وهي ليست جزء من اللّغة في حدّ ذاتها، بل هي البنية الذّهنيّة الّتي ترمّزها اللّغة في صورة قابلة للتّواصل. فاللّغة في حدّ ذاتها (أو الملكة اللّغوية الضّيقة) تتضمّن: البنية التّركيبيّة والصّواتية، والوجاه الّذي يعالق بين التّركيب، والصّواتة، والوجاهات الّتي تربط التّركيب والصّواتة بالبنية التّصوّرية ... وبالدّخل الإدراكي، والخرج الحركي» (راي جاكندوف، 2010، ص26).

كما ينبغي للمتعلّم أن يتوفّر على الأبعاد التّصوّريّة، كأن يميّز بين الألوان، ومن هنا فإنّ «النّظريّة العرفانيّة بشكل عام، ونظريّة "جاكندوف" بشكل خاص قائمتين على فرضيّة أنّ الدّلالة بنية ذهنيّة، يفترض أنّ دلالة الكلم بنية ذهنيّة مستقلّة عن اللّغة الخاصّة، الّتي يتمّ بها التّواصل، ويقوم هذا الطّرح بالنّسبة إلى "جاكندوف" على أساسين، يتمثّل الأوّل في ذهنويّة النّحو التّوليديّ، الّذي تأسّس على مبدأ النّحو الكونيّ، ويتمثّل الثّاني في أنّ العرفانيّة تقوم على اعتبار الدّلالة مستقلّة عن اللّغة» (غاليم، 2007، ص 33).

ويربط "جاكندوف" بين النّظريّة الدّلاليّة، والبنية التّصوّريّة؛ حتّى يتمكّن من الرّبط بين اللّغة، والبنية التّصوّريّة، بحيث أنّها يمكن أن تكون أعمق من الدّلاليّة، وبأنّها فرع منها، ثمّ توصّل إلى أنّه يجب أن يكون هناك تطابق بينهما؛ أي المستويين الدّلاليّ، والتّصوّريّ، ونجده يعبّر عن هذا الاختيار أيضا في كتابه "دليل ميّسر إلى الفكر، والمعنى"، في فصل منه، وسمه ب"المعاني، والتّصوّرات، والأفكار" بالقول: «ومن الشّائع القول بأنّ الكلمة تعبّر عن تصوّر، حيث التّصوّر شيء في رأس متكلّم كذلك، وأودّ أن أجمع المعاني، والتّصوّرات معا؛ لأقول إنّ معنى الجملة "هو" التّصوّر الّذي تعبّر عنه، ومن الشّائع كذلك القول بأنّ الجملة تعبّر عن فكرة (مكتملة) يفترض أن تكون شيئا في رأس متكلّم كذلك، ومرّة أخرى أودّ أن أربط الفكرتين معا؛ لأقول إنّ معنى الكلمة "هو" الفكرة الّتي تعبّر عنها، لابدّ مع هذا أن أوضّح الأمر بالقول إنّ التّصوّرات، والأفكار ليست كلّها معاني للكلمات، أو الجمل، إذ لا يمكن التّعبير باللّغة عن كثير من التّصوّرات، والأفكار بكفاءة» (جاكندوف ، 2019، ص135).

إنّ البنية التّصوّرية ترتكز بشكل أساس على مفهوم التّمثيل الذّهنيّ للأشياء، بحيث أنّها «كما توجد في العالم الخارجيّ لها دور أساسيّ في تقييد نسقنا التّصوّريّ، وذلك من خلال تجربتنا مع هذه الأشياء.» (العامري، 2018، ص34).

ومنه تهتمّ هذه النّظريّة بطبيعة المعنى، على أنّه بناء تصوّريّ، له طبيعة موسوعيّة، ممّا « يعني أنّ الكلمات لا تمثّل مجموعات واضحة من السّمات كما في التصوّر القاموسيّ، بل تعتبر بمثابة قنطرة مرور إلى خزّان واسع من المعرفة المرتبطة بتصوّر أو مجال تصوّري معيّن»(جحفة، 2000، ص 96)، وبربطه بالنّظم العرفانيّة من ناحية أخرى، على أن تكون له الصّدارة.

2- التّوجّه اللّسانيّ العرفانيّ:

إنّ أهمّ ما ميّز التّوجّه اللّسانيّ العرفانيّ؛ هو تصوّر العرفانيّين الخاص للدّلالة، فما اعتبره جلّ الباحثين اللّسانيّين أساسا في الدّراسة اللّسانيّة، تحوّل في النّظريّة اللّسانيّة العرفانيّة إلى جزء لا يتجزّأ من الدّلالة، وإنّ كلّ ما له علاقة بمستعمل اللّغة من تجارب خارجة عن بنيته الذّهنيّة، ومن معارف واعية فيما يتعلّق بعباراته اللّغويّة، يسهم بشكل واضح في تحديد دلالات تلك العبارات، ومعانيها، ولقد أثبت التّحليل الدّلاليّ العرفانيّ أنّ التّحليل الّذي يتعلّق بمعنى عبارة ما إنّما يوضّح، ويظهر جميع استخداماتها دون استثناء؛ والقصد من ذلك أنّه يشمل حتّى التّعابير المجازيّة، الّتي أهملت في الدّراسة اللّسانيّة السّابقة؛ ذلك أنّها أسندت للبلاغيّين، فجاءت النّظريّة العرفانيّة لتبلور فكرة أنّ كلّ ما هو لغويّ يخدم الدّلالة، وينضوي تحتها، «فعبارة "قاعدة" في اللّغة العربيّة تتوضّح معانيها من خلال التّحليل الدّلاليّ، فتعني في علم الكيمياء ما يستعمل مع حامض لينتج ملحا، وفي علم الهندسة في عبارة قاعدة المثلّث، وعند علماء الحساب، والجبر في عبارات من نوع لابدّ من استشارة القاعدة قبل اتّخاذ القرار، وقاعدة عسكريّة...» (بن غربية، 2010، ص46). فالتّحليل الدّلاليّ يهتمّ بتحديد هذه الاستخدامات للعبارات اللّغويّة، ودلالاتها المختلفة، حيث «يجب البحث عن المعنى في العمليّات الذّهنيّة العرفانيّة الّتي يلجأ إليها المتكلّم، وينجزها لصياغة خطابه، والّتي يلجأ إليها السّامع لفكّ رموز ذلك الخطاب، وإدراك محتواه فكلّ عبارة تفرض صورة خاصّة في مجالها، وهذه الصّور المختلفة تجسّم قدرة الإنسان على إدراك نفس المضمون بطرق مختلفة، وتشكيله في صيغ مختلفة» (بن غربية، 2010، ص47).

إنّ تركيز العرفانيّين على الدّلالة، وإحلالها المنزلة المناسبة، غيّر النّظرة إلى النّحو، إذ لم يعد مسؤولا عن صياغة التّراكيب الصّحيحة، بل أصبحوا يهتمّون به «في معناه العامّ باعتباره قائمة من الصّيغ، والتّراكيب المصطلح عليها، باعتباره نظاما يسمح بتشكيل أبنيّة اصطلاحيّة، متواضع عليها تسمح

بتصنيف المعاني، وإدراجها ضمن مقولات، وبذلك أصبح النّحو عبارة عن تحليل...للعلاقات القائمة بين مجموعة الأصوات المتعاقبة، والدّلالات المسندة إليها» (بن غربية، 2010، ص34). بحيث يهدف التّوجّه العرفانيّ أساسا إلى إدراك وظيفة اللّغة الرّمزيّة؛ أي «التجاء المتكلّم إلى سلاسل أو متتاليات صوتيّة، تستعمل رموزا للتّصوّرات، ولذلك لا توجد في النّحو العرفانيّ إلاّ ثلاث أنواع من الوحدات: الوحدات الفونولوجيّة، والوحدات الدّلاليّة، والوحدات الرّمزيّة» (بن غربية، 2010، ص36)، والوحدة الرّمزيّة هي الّتي تجمع بينهما إذ «الوحدة الرّمزيّة هي الجمع بين وحدة دلاليّة معنويّة، ووحدة فونولوجيّة وكلّ بنية (أي كلّ صيغة صرفيّة، وكلّ تركيب نحويّ) لها معنى، وهذا المعنى يكون عادة معنى مجرّدا، أكثر تجريدا من معنى الوحدة المعجميّة» (بن غربية، 2010، ص36).

ومن المبادئ الّتي أقرّها العرفانيّون للدّلالة أيضا، أنّهم اعتبروا أنّ مصطلحيْ "المعنى"، و"التّصوّر"، يوظّفان بالمفهوم نفسه، «فالمعنى لا يعدو أن يكون إلاّ تصوّرا معيّنا، ومعنى عبارة ما إنّما هو ذاك البناء، أو التّشكيل الخاص الّذي تفرضه العبارة على مشهد تصوّريّ، وبذلك يتمثّل التّحليل الدّلاليّ لعبارة ما في إبراز الطّريقة الخاصّة؛ الّتي وقع اعتمادها في تلك العبارة؛ لتشكيل المشهد، وبنائه بطريقة معيّنة مخصوصة» (بن غربية، 2010، ص36)، وهو تصوّر عرفانيّ للدّلالة، إذ لم يعد التّركيب النّحويّ أساسا للدّراسة، كما عهدته نظريّات سابقة، وأصبح الأمر يعتمد على التّشكيل الدّلاليّ للعبارة، وطريقة تنظيمها؛ معنى ذلك أنّ التّنظيم الدّلاليّ يفسّر التّركيب النّحويّ للعبارة، وليس العكس، فهم يعتبرون «أنّ كلّ صيغة أو بناء، مهما كان المستوى الّذي يوجد فيه، إنّما تبرّره، وتفرضه اعتبارات دلاليّة، مع العلم أنّ الاعتبارات التّداوليّة بالنّسبة لهم، ليست إلاّ جزءا من الاعتبارات الدّلاليّة» (بن غربية، 2010، ص36).

ومنه فإنّ هدف اللّسانيّات الوحيد في نظر العرفانيّين؛ هو ضرورة الكشف عن المعنى، والقبض عليه، وتحديده، حيث تعكس العبارات مضمونا من خلال تنظيمها الذّهنيّ، وهذا المضمون هو المعنى؛ فيُدرس باعتباره مُتَضَمّنًا للتّركيب النّحويّ بما فيه من صيغ، وبنيات داخليّة.

ومن أهمّ من مثّل هذا التّوجّه العرفانيّ الدّلاليّ، نحاول الوقوف على جهديْن بارزيْن من الباحثين العرفانيّين الّذين آمنوا بالنّهج العرفانيّ، معلنين القطيعة على النّهج التّوليديّ، وأفكاره، مثّل الأوّل للنّحو العرفانيّ، بينما الثّاني يمثّل التّوجّه التّصوّريّ، أو المفهوميّ للاستعارة.

2-1- النّحو العرفانيّ "Grammaire Cognitive"عند "رونالد لانقاكير":

إنّ نظريّة "رونالد لانقاكير" R. Langacker بديل للنّظريّات اللّسانيّة الّتي كانت سائدة، حيث كانت تتّخذ من التّركيب أساسا لدراسة اللّغة على حساب المعنى، والدّلالة، وحتّى بعد اعترافهم بضرورة الاهتمام به جعلوه ثانويّا، وبقي الاهتمام منصبّا على التّركيب؛ فأرسى "لانقاكير" مجموعة من المبادئ العرفانيّة، والّتي تتعلّق أساسا بالمبحث الدّلاليّ، على أنّه يؤمن بأنّ «النّحو العرفانيّ نظريّة دلاليّة شاملة» (بن غربية، 2010، ص28)، حيث قدّم رؤية واضحة لمفهوم الدّلالة في نظريّته اللّسانيّة العرفانيّة، على أنّها «كلّ مادة تصوّريّة تمثّل مفهوما ممكنا، فالدّلالة عنده هي التّصوّر في معناه الواسع، وموضوع علم الدّلالة البحث في الأبنيّة التّصوّريّة، وتحليلها، وغايته تقديم الأوصاف الظّاهرة لانتظامها، وإذ كانت الأبنيّة التّصوّريّة كامنة في المعالجة العرفنيّة، ومادّة لها، كانت الغاية القصوى لعلم الدّلالة، تحديد مختلف الأنماط، الّتي تكون الوقائع العرفنيّة، من حيث كانت الواحدة منها تجربة ذهنيّة، وهذه غاية بعيدة المنال صعبة، ولكنّ ذلك لا يمنع من السّعي إلى البحث فيها، ولا من اعتماد الأساس التّصوّريّ في تمثّل المعنى، ودراسته» (الزّناد، 2009، ص 102)، حيث حاول من خلال نظريّته "النّحو العرفانيّ" أن يقدّم تفسيرات للقضايا اللّغويّة الدّلاليّة، معتمدا على ما يقوم به الفرد المتكلّم من عمليّات ذهنيّة عرفانيّة، وبالتّفاعل مع معطيات أخرى، يوظّفها في استعمالاته اللّغويّة، من عبارات، وصيغ، وتراكيب...، وما يقوم به المتلقّي لفهم تلك العبارات، والصّيغ، إذ تمثّل «العمليّات الذّهنيّة في رأي العرفانيّين عمليّات منتظمة مطّردة» (بن غربيّة، 2010، ص34)، خلافا لما كان سائدا في النّظريّات اللّسانيّة، ما قبل العرفانيّة، حيث مثّلت الدّلالة مستوى من بين المستويات اللّسانيّة للّغة، فهي جزء من الدّراسة، والأهميّة القصوى للصّيغ الشّكليّة، والتّراكيب، ومدى مساهمتها في تحديد المعنى، على أنّه عنصرا ثانويّا يدعم تفسيراتهم الشّكليّة، فجاء النّحو العرفانيّ رافضا لهذا «التّصوّر الّذي فصل بمقتضاه عدد من اللّغويّين بين مختلف المستويات، الّتي تسهم في بناء المعنى، وتشكيله، وهو التّصوّر الّذي جعل عددا من اللّغويّين يفصلون بين مستوى بنية الكلمة، ومستوى بنية الجملة، ومستوى المعجم، ومستوى الدّلالة إلى غير ذلك من المستويّات؛ الّتي تسهم معا، وفي الآن ذاته في تشكيل المعنى، بل إنّهم لم يكتفوا بذلك، وإنّما اختاروا كذلك الفصل بين مختلف المستويات، الّتي ذكرناها، وبين المعارف، الّتي بحوزة المتكلّم، والمخاطب، سواء منها ما كان له علاقة بمعتقداته، وثقافته، أو بكلّ ما يعرفه عن العالم الخارجيّ، الّذي يعيش فيه، ففصلوا بذلك بين ما سمّوه المعنى اللّغويّ، والمعنى غير اللّغويّ، ونحن نجد مثل هذا التّصوّر شائعا في النّحو التّوليديّ التّحويليّ مثلا، وفي مختلف النّظريّات

النّحويّة الجديدة، الّتي حاول أصحابها تفادي بعض الأخطاء، الّتي وقع فيها التّوليديّون، أو تخلّوا تماما عن بعض مبادئهم» (بن غربيّة، 2010، ص28).

فما تجدر الإشارة إليه في هذا السّياق، هو أنّ الاهتمام بالمعانيّ اللّغويّة في المنظور اللّسانيّ العرفانيّ، أو الدّلالة، لا يشترط صدق العبارات من عدمه، وموافقتها للواقع من غيره فيجمع "لانقاكير" في نظريّته بين المكوّنين التّركيبيّ، والدّلاليّ، ويعتبر أنّه من الخطإ الفصل بينهما في النّظريّة اللّسانيّة العرفانيّة، حيث لا يقبل «الانفصال بين الإعراب والدّلالة خلافا لسائر النّظريّات، الّتي تتصوّر الإعراب مكوّنا شكليّا، قائما بذاته، ومن المفترض عند "لانقاكير" أن تكون النّظريّة اللّسانيّة وصفا متكاملا، يجمع بين مختلف المظاهر في البنية اللّغويّة، خلافا للمتداول من نزعات إلى أن تكون النّظريّة الواحدة مختصّة بمظهر واحد، وهو سبب أساسيّ في تكاثر النّظريّات الجزئيّة» (الزّناد، 2009، ص98).

وقد تجسّد ذلك في توجّهه العرفانيّ الموسوم ب"النحو العرفاني"، الّذي يسعى من خلاله «إلى تقديم نظريّة موحّدة شاملة لمختلف جوانب البنية اللّغويّة» (بن غربيّة، 2010 ، ص29)، وهو أهمّ مبدإ لسانيّ عرفانيّ على الإطلاق.

فقد ثار على النّظريّات الشّكلانيّة، الّتي اعتبرت التّركيب مركزيّا في الدّراسة اللّسانيّة، وفصلت بين المستويات اللّسانيّة المختلفة مقتنعة بذلك أنّ اللّغة نظام، وبنية مكتفية بذاتها، ومنفصلة عن العالم الخارجيّ، كما اعتنت بالدّلالة من منظور المنطق الصّوري، باعتماد موافقتها للحقيقة من خلافها، ف «جميعها عند لانقاكير مبادئ قائمة على أساس خاطئ، فاللّغة ليست نظاما مكتفيا بذاته، ولا تقبل الوصف بمعزل عن العمليّات العرفانيّة، ولا يمكن تفسير السّلوك اللّغويّ دون اعتبار آليّات المعالجة العرفانيّة» (الزّناد، 2009، ص99 – 100).

إنّ هذه الآليّات لا يمكن لها أن تفصل بين نظام ذهنيّ كونيّ، ممثّل في الملكة اللّغويّة، وبين مظاهر أخرى، خارجة عن الذّهن، من قبيل النّفس، والمحيط، الّذي ينتمي إليه المتكلّم، أو مستعمل اللّغة، ولذلك يدعو "لانقاكير" من جهة أخرى، إلى ضرورة الجمع بين ما توصّلت إليه الأبحاث اللّسانيّة، واستثمار ما حقّقه علم النّفس من نتائج تعتمد على تقنيّات حديثة؛ والّتي فتحت له آفاقا جديدة، حتّى يسعى نحو نظريّة شاملة، وموحّدة، مسلّما فيها بأنّ اللّغة جزء لا يتجزّأ من العرفانيّة، كما اعترف من خلال بثّ أفكاره بأنّ الطّريق لتحقيق هذه الأفكار مازال طويلا، وذلك بالابتعاد عن نظريّة الصّدق الّتي كانت سائدة، فـ«التّحليل الدّلاليّ الشّكليّ القائم على شروط الصّدق، غير مفيد، ولا مناسب لوصف المعنى في

العبارات اللّغويّة؛ ذلك أنّ الأبنيّة في تصوّرها مرتبطة بنظم مفتوحة؛ من حيث مجالها، ولا متناهية في حدودها، كما هو معلوم، كما أنّ القيمة الدّلاليّة في عبارة ما، لا تعكس المضمون الكائن في موقف جرى تصوّره فقط؛ بل تعكس الوجه الّذي به كان تنضيد ذلك الموقف، وبناؤه» (الزّناد، 2009، ص100)، كما ارتكز تحليل المعنى عند لانقاكير على "مفهوم التّصوير"، حيث يطلقه على «القدرة الّتي بها يكون تنضيد المواقف، أو الوضعيات على وجوه مختلفة» (الزّناد، 2009، ص 100).

2-1-1- النّحو التّصويريّ:

عندما يسعى المتكلّم للتّعبير عن موقف ما، ينتقي بالضّرورة الصّيغة اللّغويّة الّتي يوظّفها؛ لتحقيق التّواصل، وهو الغاية من استخدام اللّغة، وذلك ببناء الموقف ذهنيّا بطريقة معيّنة، فيختلف التّصوير تبعا لذلك عند المتكلّمين، وباعتبار اللّغة جهازا رمزيّا، يتكوّن من البنية اللّغويّة، والمضامين الّتي تعبّر عنها، يتسنّى تعدّد الصّور في تحليل المضمون الدّلاليّ، وكلّ ذلك حتّى يتمكّن لانقاكير من تبرير موقفه، الّذي يتمثّل في أنّه لا وجود لبنية عميقة للّغة أساسا؛ حتّى نبحث لها عن تأويلات ويفسّر ذلك هذا المثال:

أهدى زيد كتابا إلى عمرو.

أهدى زيد عمرا كتابا.

يعتبر "لانقاكير" الجملتين مختلفتين معنى، وهما صورتان مختلفتان لواقعة واحدة؛ هي الإهداء، ففي التّركيب الأوّل يعيّن الحرف -إلى- المسلك الّذي اتّبعه الكتاب، فيكون المسلك أبرز المظاهر المكوّنة للواقعة في الجملة، وأمّا في الثّاني، فالملكيّة أبرز المظاهر الّتي يرمز إليها غياب الوسائط الحرفيّة بين الطّرفين (المالك، والمملوك)، والمضمون الثّاني بعد الأوّل، على أساس التّرتيب الطّبيعي بين المسلك، والمآل.

ومن أخصب مجالات البحث الدّلاليّ عنده، ظاهرة الاشتراك اللّفظيّ «الّتي يبيّن فيها المدخل التّصوّريّ عن كفاءته، فمن الثّابت أنّ درجة الاشتراك الدّلاليّ تناسب درجة التّواتر، فما تواتر من الوحدات اللّغويّة تواترا عاليا، كان محلّ اشتراك، ومن الثّابت كذلك أنّ دلالات الوحدة المشتركة؛ تكون شبكة تترابط عناصرها؛ بتوسّط أنواع متعدّدة من العلاقات، وهذا التّعدّد في التّناول التّصوّريّ عائد إلى معنى خطاطيّ...يمثّل المنطلق في تبلور مختلف الخطاطات وفي تحقّقها» (الزّناد، 2009، ص102).

وقد مثّل لذلك بكلمة "ring" في الانجليزية، وأشار إلى أنّها تحمل قيمة دلاليّة خطاطيّة، أو مضمون ممثّل في وحدة دائريّة تتحقّق في معان خصوصيّة من بينها علامة دائريّة؛ فتكون تلك العلامة خاتما للسّلطان، وخاتما للإصبع، وأشياء أخرى مشابهة، تتحقّق في صور كثيرة مختلفة عن طريق الاتّساع.

إنّ المعنى الخطاطيّ عند لانقاكير «وحدة دائريّة، تتعدّد تحقّقاته في عدد من المعاني، منها علامة وشيء، ثمّ بتوسّط الاتّساع، يمكن أن تتوسّع التّحقّقات بعضها، أو جميعها إلى معان أخرى من قبيل...علامة دائرية، وشيء دائري» (الزّناد، 2009، ص103).

فالتّحليل الدّلاليّ عنده يعنى بكلّ وحدة لغويّة مركّبة بصورة موسوعيّة، حيث تمثّل البنية اللّغويّة انعكاس مباشر للإدراك؛ معنى ذلك أنّ أيّة عبارة موجودة في الواقع، ينبغي أن تستدعي للتّعبير عنها تصوّرا آخر، يكون نتاج خبرات متفاعلة، تفاعلا موسوعيّا، تشترك فيه اعتبارات ذهنيّة، ونفسيّة، واجتماعيّة...وهي عمليّات عرفانيّة محضة.

وبهذا الاعتبار «تتحدّد دلالة العبارة اللّغويّة بالمضمون التّصوّريّ المدلول عليه بها، وبزاوية التّناول الّتي يصوّر من خلالها ذلك المضمون» (الزّناد، 2009، ص105).

خلاصة القول، لقد أكّد "رونالد لانقاكير" على أمرين ضروريّين في تشكيل الدّلالة، وتحليلها، وهما التّصوّرات الذّهنيّة، والتّناول الموسوعيّ، والعرفانيّ للدّلالة، حيث تمثّل كلّ تجربة إدراكيّة نظاما عرفانيّا مستقلا.

2-2- الاستعارة التّصوّريّة "Métaphore conceptuelle" عند "جورج لايكوف":

شكّل مبحث الدّلالة، أو البحث في المعنى، وطبيعته، وكيف يتمّ تمثّل المعاني أهمّ ما ركّز عليه "جورج لايكوف" G. Lakoff في الطّرح العرفانيّ التّجريبيّ، والتّفاعليّ، حيث مثّل كتابه "الاستعارات الّتي نحيا بها" إلى جانب الباحث "مارك جونسون"، ثورة علميّة في هذا المجال بعدّه واحدا من الأطر النّظريّة ضمن الدّلالة العرفانيّة، وقد تجلّى ذلك من خلال ما اصطلح عليه بالاستعارة التّصوّريّة، فبناء المعنى هو بناء تصوّرات، والمعنى هو تجلّ للبنية التّصوّريّة - معارضا بذلك النّظريّة الكلاسيكيّة، والّتي كانت تعتمد على حرفيّة المعانيّ - ولا يتحقّق ذلك إلاّ عن طريق التّفاعل بين العالم، والجسد، «فلا وجود للمعنى، أو للخيال، أو لأشدّ مفاهيمنا تجريدا خارج الجسد، أو خارج إدراكنا المتجسّد للواقع» (محمد الصّالح البوعمرانيّ، 2009، ص8-9).

فالتّجربة، أو الخبرة شرط ضروريّ لفهم العالم من حولنا، «فنحن ندرك العالم، ونفهم الأشياء من حولنا انطلاقا من الزّمان، والمكان، فمكان الإدراك، ومسافة الإدراك، وطريقة الإدراك، وزاوية الإدراك، هي الّتي تحدّد طبيعة فهمنا للشّيء المدرك» (لايكوف و جونسون، 1996، ص56)، فتعتبر الاستعارة التّصوّريّة من هذا المنطلق، عمليّة ذهنيّة، تقوم على ربط آليّ بين التّصوّرات والموجودات، بحيث تخضع

للتّجربة الفرديّة، وواقع مستعمل اللّغة، مغايرة بذلك للاستعارة القديمة، الّتي انبنت على علاقة المشابهة، بحيث تبتعد كلّ البعد عن التّجربة الإنسانيّة، والمعطيات الخارجيّة لواقعها، والّتي شكّلت في نظر القدماء، ظاهرة لغويّة بلاغيّة أدبيّة، تضفي على اللّغة جمالا، ورونقا، بعدولها عن المألوف في اللّغة التّواصليّة العاديّة إلى اللّغة الانزياحيّة الجماليّة، بعدّها تعبيرات لغويّة عن معانٍ غير الألفاظ الّتي وضعت لها في الأصل، بحيث تبنى على علاقة المشابهة بينهما، وتكون أبلغ، وأدقّ في التّعبير عن المعاني، وقد عرّفت بـ"أنّها تشبيه حذف أحد طرفيه"، فإمّا أن يحذف الطّرف الأوّل (المشبّه)، ويصرّح بالثّاني (المشبّه به)؛ لتشكّل العبارة استعارة تصريحيّة، وإمّا أن يظهر الطّرف الأوّل (المشبّه)، ويحذف الثّاني (المشبّه به)، على أن يبقى في السّياق ما يكنّي عنه، أو قرينة من قرائنه تحيل المتلقّي عليه؛ لتشكّل بذلك استعارة مكنيّة، ممّا جعلها ظاهرة أدبيّة محضة تختصّ بمجال الأدب، وباللّغة الأدبيّة، لتتحوّل نظرة البلاغيّين المحدثين الّذين أعرضوا عن الاستعارة؛ باعتبارها عدولا عن اللّغة العاديّة، يقتصر على اللّغة الأدبيّة، إلى كونها ظاهرة طبيعيّة آليّة في اللّغة، وأنّ كلّ كلامنا استعاريّ بالأساس؛ معنى ذلك أنّ الاستعارة تشكّل في نظرهم عمليّة ذهنيّة، بعد أن كانت ظاهرة لغويّة انزياحيّة، لذلك سمّيت عندهم بالاستعارة التّصوّريّة.

إنّ الاستعارة التّصوّريّة تمثّل جزءا من تفكيرنا، فهي تُبَنْيِنُ تصوّراتنا، وتجاربنا، فتبني لها أنساقا لغويّة في الذّهن،وتعطيها معنى، حيث يرى كلّ من "لايكوف"، و"جونسون" «أنّ النّسق التّصوّريّ العاديّ، الّذي يسيّر تفكيرنا، وسلوكنا، له طبيعة استعاريّة بالأساس» (لايكوف، 1993، ص8)؛ والمقصود من ذلك أنّ حياتنا اليوميّة محكومة بالأنساق التّصوّريّة الاستعاريّة، دون أن نشعر بذلك.

كما أنّ الاستعارة التّصوّريّة لا تتمثّل من خلال اللّغة، وإنّما تتجسّد من خلال الطّريقة؛ الّتي نفهم بها مجالا عرفانيّا ما، يستدعي حضور مجال عرفانيّ ذهنيّ ثان، وهو ما أكّده "جورج لايكوف"، في كتابه "النّظريّة المعاصرة للاستعارة في قوله: «وموقعها – يقصد الاستعارة المفهوميّة– ليس في اللّغة على الإطلاق إنّما في الكيفيّة الّتي نفهم بها مجالا ذهنيّا ما لمجال آخر» (العامري، 2018، ص39)، بحيث تنقل الاستعارة التّصوّريّة المعلومة، من مجال تصوّريّ أوّل إلى مجال تصوّريّ ثانٍ، ممّا أضفى عليها بعدا ذهنيّا عرفانيّا محضا، ويعتمدان في كلّ ذلك على مفهوم البنية التّصوّريّة؛ باعتبارها استعارة تصوّريّة، وينطلقان في تفسيرهما للاستعارة التّصوّريّة؛ بعدّها انتقال عرفانيّ بين مجالين، يرتكز على ثلاثة أصناف من "الأنساق التّصوّريّة"، فهي استعارات بنويّة، واستعارات اتّجاهيّة، واستعارات أنطولوجيّة.

إنّ نسق التّفكير استعاريّ في جانب كثير منه؛ إذ يحدث أنّنا نفهم مجالا تصوّريّا ما، عن طريق آخر من خلال شبكة من العلاقات أو التّرابطات، الّتي تسمّى إسقاطات، حيث يسهم هذا الطّرح في

تحديد المعنى، وفهم مضامينه لدى الفرد، فقدرتنا على فهم العالم الخارجيّ،وإدراكه من خلال التّجربة، والاستعارات الّتي نحياها، بمثابة تحديد للمعنى، وبناء له، حيث «أنّ جلّ التّصوّرات تُفْهم جزئيّا بواسطة تصوّرات أخرى.» (لايكوف وجونسون، 1996 ، ص77).

خلاصة القول إنّ الاستعارة التّصوّريّة تقوم « على عمليّة ربط باعتبارها قائمة من التوافقات التّصورية بين مجالين (مصدر وهدف)، تمكّن من التّفكير في المجال الهدف استنادا إلى خصائص المجال المصدر، ولا تقوم على مشابهة موجودة بشكل قبليّ، وفي استقلال عن تجربة الإنسان، واحتكاكه بالعالم الخارجيّ، لهذا فالاستعارة ذات طبيعة إبداعية تستجيب لتجربتنا واحتكاكنا مع معطيات العالم الخارجيّ.» (العامري، 2018، ص2).

خاتمة:

لقد سعى هذا البحث إلى تقديم صورة موجزة عن مسار البحث اللساني المعاصر من البنية التركيبية إلى البنية الذهنية، والتي يروم من خلالها تحقيق بعض الأهداف:

1- البحث صورة عن أوج ما وصل إليه البحث اللساني المعاصر.

2- ضرورة التركيز على الجانب الذهني في دراسة اللغة.

3- تقريب المعرفة اللسانية المعاصرة من ذهن القارئ العربي.

4- ضرورة اعتماد المقاربة اللسانية العرفانية بديلا عن النماذج اللسانية التي سبقتها.

5- اتساع مداخل الطرح العرفاني يسهم في إثراء البحث اللساني.

قائمة المصادر والمراجع

1- بن غربية،عبد الجبّار. (2010). مدخل إلى النّحو العرفانيّ. ط1. مسكيلياني للنشر والتوزيع. كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة. تونس.

2- البوعمرانيّ، محمد الصّالح.(2009). دراسات نظريّة وتطبيقيّة في علم الدّلالة العرفانيّ. ط1. مكتبة علاء الدّين. صفاقص. تونس.

3- بوقرة، نعمان. (2003). المدارس اللسانية المعاصرة. د.ط. مكتبة الآداب. القاهرة.

4- جاكندوف، راي. (2010). علم الدّلالة والعرفانيّة. د.ط. ترجمة: عبد الرّزاق بنور. مراجعة مختار كريم. دار سيناترا. المركز الوطني للتّرجمة. تونس.

5- جاكندوف، راي. (2019). دليل ميسّر إلى الفكر والمعنى. ترجمة: حمزة بن قبلان المزيني. كنوز المعرفة للنّشر والتّوزيع.

6- جحفة، عبد المجيد. (2000). مدخل إلى الدّلالة الحديثة. ط1. دار توبقال للنّشر. الدار البيضاء. المغرب.

7- الزّناد، الأزهر. (2009). نظريّات لسانيّة عرفنيّة. ط1. الدّار العربية للعلوم ناشرون. دار محمد علي للنشر. منشورات الاختلاف. تونس.

8- شمّام، نسيمة. (2014). النّظريّات الدّلالية في القواعد التّوليديّة التّحويلية. مجلّة كلية الآداب واللّغات. جامعة بسكرة، ع16، ديسمبر 2014.

9- عابي، عبد السّلام. و صبعي، النّذير. (2018). من اللّسانيّات التّوليديّة إلى اللّسانيّات العرفانيّة، -تحوّلات المباحث، والمفاهيم-. مجلّة اللّسانيّات. المجلد 24. ع1.

10- العامري، عبد العالي. (2018). الاستعارة التّصورية وبناء المعنى في ضوء اللّسانيّات المعرفيّة. د.ط. عالم الكتب الحديث. المغرب. الأردن.

11- غاليم، محمد. (2007). النّظرية اللّسانيّة والدّلالة العربيّة المقارنة -مبادئ وتحاليل جديدة-. ط1. دار توبقال للنّشر والتوزيع. الدار البيضاء. المغرب.

12- لايكوف، جورج وجونسون، مارك. (2009). الاستعارات الّتي نحيا بها. ط2. ترجمة: عبد المجيد جحفة. دار طوبال للنّشر، الدار البيضاء. المغرب.

13- لايكوف، جورج. (2014). النّظريّة المعاصرة للاستعارة -الدّراسة جزء من كتابه الاستعارة والفكر- ط2. ترجمة: طارق النّعمان. الإسكندرية. مصر.

14- المليجي، حلمي. (2004). علم النّفس المعرفيّ. ط1. دار النّهضة العربية.

15- هيد الله مولود مرابط وآخرون. (2020). اللسانيات المعرفية -نشأة اللّسانيّات المعرفيّة- تقديم: جعفر يايوش. ألفا للوثائق. جامعة القاضي عيّاض. المغرب.